الباب الثامن

الطـــوارق

تعريف الطوارق ، وهـم المسوفه ينتسبون إلى صنهاجه . وصنهاجه يرفعون أنسابهم إلى حِمْير ، كما فى كتاب الحلل الموشيه [١] ، فى ذكر أخبار المراكشية . ونصه : هؤلاء لمتون [٢] ينتمون إلى لمتونه ، وهم من أولاد لمت ، ولمت وجد ، ولمط ومسطوف يُنسبون إلى صنهاجه [٣] . فلمُت جد لمتونه ، وجدال جد جدالة . ولمط جد لمطة ، ومسطوف جد مسوفه .

وهم ظواعن فى الصحراء ، رُحَّل لا يطمئن بهم منزل . ليس لهم مدينة يأوون إليها ، ومراحلهم فى الصحراء مسيرة شهرين ، ما بين بلاد السودان وبلاد الإسلام . وهم على دين الإسلام واتباع السنة . وهم يجاهدون السودان وصنهاجه ، يرفعون نسبهم إلى حمير ، وليس بينهم وبين البربر نسب إلا الرحم وأنهم خرجوا من اليمن ، وارتحلوا إلى الصحراء وطنهم بالمغرب .

وسببه أن أحد الملوك التبابعة ، لم يكُنْ فيمن تقدَّم من ملوك قومه مثله ، ولم يبلغ أحد منهم من فضله وعزة مُلكه ، وبُعد غَوره ونكاية عدوه ، وقهره للعرب والعجم مبلغه ، فأنسى جميع الأمم ممَّنْ كان قبله .

وكان قد أخبره بعض الأحبار بحوادث الأيام وبالكتب المُنزلة من الله على رسوله عليه السلام ، وأن الله عزَّ وجلَّ يبعث رسولاً هو خاتم الأنبياء ، ويرسله إلى جميع الأمم ، فآمن به وصدَّق بما يأتى به . قال فيه فى أبيات من الشعر ، فقال :

شَهِدْتُ عَلَى أحمدَ أَنَّهُ ... رَسُولُ اللهِ بَرَى النَّسَمِ

فَلَوْ مُدَّ عُمُرِى إلَى عُمُرِهِ ... لَكُنْتُ وَزيراً لَهُ وَابْنَ عَم

---

(١) يُنسب هذا الكتاب لمؤلف مجهول ، وعنوانه (الحلل الموشيه فى ذكر الأخبار والآثار المراكشية) .

(٢) لمتونة : إحدى قبائل البربر .

(٣) صنهاجه : قبيلة بربرية ، من قبائل البربر البتر .

فى أبيات كثيرة قصتها مشهورة ، وسار إلى اليمن ودعا ، أهل مملكته إلى ما آمن به، فلم يُجبه إلى ذلك إلا طائفة من قومه حمير ، ولما مات غلب أهل الكفر أهل الإيمان، فكان كل منْ آمن به مع تُبَّع بين قتيل وطريد ، ومطلوب وشريد .

فعند ذلك تلثّموا لفعل نسائهم فى ذلك الزمان وفرُّوا بأنفسهم ، وتفرَّقوا فى الأقطار أيادى سبأ ، فكان خروج سلف المتلثمين[1] عن اليمن ما ذكر وكانوا أول مَنْ تلثَّم ، ثم انتقلوا من قطر إلى قطر ، ومن مكان إلى مكان بانتقال الأيام والأزمان ، حتى صاروا بالمغرب الأقصى بلاد البرابر ، فاحتلوا بها واستوطنوا ، وصار اللثام زيَّهم الذى أكرمهم الله به ونجَّاهم لأجله من عدوهم فاستحسنوه ولازموه وصار زياً لهم ولاعقاً بهم لا يفارقونه إلى هذا العهد ، فتبربرت ألسنتهم بمجاورتهم البرابر، وكونهم معهم ومصاهرتهم إياهم .

والأمير أبو بكر بن عمر بن إبراهيم بن تورقيت اللمتونى[2] الذى خطَّ مدينة حمراء مراكش ، هو الذى أخرجهم من المغرب إلى الصحراء لما غارت جدالة على لمتونة ، واستخلف حينئذ ابن عمه يوسف بن تاشفين ، على المغرب ، انتهى منه باختصار .

(١) المتلثمين : اسم يُطلق على قبائل الطوارق ، لأن الرجال يلثمون وجوههم بلثام أشبه بالنقاب ، لأنهم يعتبرون الفم بمثابة عورة يجب تغطيتها . انظر ابن حوقل : صورة الأرض دار الكتاب الإسلامى ، بدون . ص ٩٩ .

(٢) أبو بكر عمر : خليفة عبد الله بن يس ، استطاع إسقاط امبراطورية غانة الوثنية ، ويُعتبر من مُؤسسى دولة المرابطين . انظر ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون . جـ ٦ ص ١٨٣ ، ١٨٤ .